

سورة الجحاق

﴿وَبِسْمَةِ رَبِّكَ﴾ أنزلنا القرآن في ليلة القدر من شهر رمضان، وكان بدء نزوله في هذه الليلة المباركة ﴿بِمَا يُفْرَقُ﴾ فيها يُفصل ويُبين كل أمرٍ محكم، من أرزاق العباد وأجالهم، قال ابن عباس: يُحكّم الله أمر الدنيا إلى السنة القابلة، ما كان من حياة وموت، وخير وشر، وبسط وقبض ﴿فَأَرْسَلْنَا﴾ انشطر عذاب هؤلاء المكذبين ﴿بِدُخَانٍ مُّبِينٍ﴾ بدخان كثيف، بين واضح، قال ابن مسعود: إن قريشاً لما عصت الرسول ﷺ دعا عليهم فقال: اللهم اشدد وطانك عليهم، واجعلها عليهم بينين. أي فحطاً. كسنيّ يوسف. فأصابهم فحط وجذب حتى أكلوا الجيف والجلود والميتة من الجوع، وينظر أحدهم إلى السماء



فيرى كهية الدخان فقبل للرسول: إن كشفنا عنهم عادوا، فذا ربه فكشف عنهم، فعادوا فانتمم الله منهم... الحديث رواه البخاري ﴿أَلَمْ نَكُ الْإِبْرَاهِيمَ الذِّكْرَىٰ﴾ كيف يذكرون وينتظرون؟! ﴿رَسُولٌ مُبِينٌ﴾ محمد ﷺ بالمعجزات البينة، فقالوا: ﴿سَمِعْنَا مَخْرَجًا﴾ بهتوه ونسبوه إلى الجنون ﴿الْفِتْنَةَ الْكُبْرَىٰ﴾ يوم القيامة ﴿مَتَانًا﴾ ابتلينا وامتحننا بالنعمة، والجاه، والسلطان قوم فرعون ﴿وَبِعَسَىٰ أَنْ يَكُونَ مِنْكُمْ رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَبْتَغِيَ غَنًا مِنَ اللَّهِ﴾ وبعسنا إليهم رسولاً كريماً رفيع القدر، هو (موسى) عليه السلام ﴿أَنْ أَدْوَأْ إِلَىٰ عِبَادِ اللَّهِ﴾ ادفعوا إلي قومي من بني إسرائيل ولا تعذبوهم. تنبيه: اختلف المفسرون في المراد بـ ﴿الْفِتْنَةَ الْكُبْرَىٰ﴾ فقال ابن عباس: هو (يوم القيامة) وقال ابن مسعود هو (يوم بدر) حيث قُتل من صناديدهم سبعون، وأسر سبعون، والراجح قول ابن عباس لأن الله وصفها بالكبرى.

سورة التوبة

وَأَنْ لَا تَقُولُوا ﴿ لَا تَكْتَبُوا وَتَتَجَبَّرُوا عَلَى اللَّهِ ﴾ سُلْطَانِيَّةٌ بِحِجَّةٍ وَاضِحَةٍ، وَبِرَهَانٍ سَاطِعٍ، وَهِيَ مَعْجِزَةُ الْعَصَا، وَالْيَدِ ﴿عُدَّتْ﴾ اسْتَجَرَتْ بِاللَّهِ تَعَالَى ﴿أَنْ تَزْهَمُونَ﴾ أَنْ تَقْتُلُونِي ﴿زَهَمًا﴾ سَاكِنًا مَنفَرَجًا عَلَى هَيْئَتِهِ ﴿خُدَّ مُفْرَقُونَ﴾ سَتَفَرَّقُوا فِرْعَوْنَ وَجُنُودَهُ فِي الْبَحْرِ ﴿كَمْ تَزَكَّرُوا﴾ الْبَسَاتِينَ وَالْحَدَاتِقَ، وَالْعَيُونَ الْجَارِيَةَ، تَرَكُوهَا بَعْدَ هَلَاكِهِمْ ﴿تَكْهَمُونَ﴾ وَنَعْمَ جَلِيلَةٌ كَثِيرَةٌ كَانُوا مُتَمَعِّينَ فِيهَا ذَهَبَتْ عَنْهُمْ ﴿وَأُورِثَهَا قَوْمًا آخَرِينَ﴾ مَلَكَتْهَا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿فَسَاكَتْ﴾ فَمَا حَزَنَ عَلَى فَقْدِهِمْ أَحَدٌ، وَلَا تَأَثَّرَ بِمَوْتِهِمْ إِنْسَانٌ ﴿سُطَّرِينَ﴾ مَمْهَلِينَ بِالْعَذَابِ إِلَى وَقْتِ آخِرٍ ﴿كَانَ عَلِيًّا﴾ إِنْ فِرْعَوْنَ كَانَ مُتَكَبِّرًا جَبَّارًا ﴿التَّشْرِيفِينَ﴾ الْمَجَاوِزِينَ الْحَدَّ فِي الْقَتْلِ وَالتَّعْذِيبِ ﴿نَقَلْنَا نِيْمًا﴾ اخْتِيَارَ ظَاهِرٍ ﴿سُطَّرِينَ﴾ يَمْعُوثِينَ بَعْدَ الْمَوْتِ ﴿قَوْمٌ نَجَّعٌ﴾ هَلْ كَفَّارَ مَكَّةَ أَقْوَى وَأَشَدَّ، أَمْ أَهْلَ سَبَأَ مُلُوكَ الْيَمَنِ؟ أَهْلَكْنَاهُمْ بِسَبَبِ إِجْرَامِهِمْ مَعَ أَنَّهُمْ أَقْوَى، وَأَكْثَرُ أَمْوَالًا، وَأَعْظَمُ نِعْمًا!! أَفَلَا يَخَافُونَ أَنْ نَهْلِكَهُمْ كَمَا أَهْلَكْنَا الطَّغَاةَ الْمَكْذِبِينَ؟ وَهَذَا وَعِيدٌ وَتَهْدِيدٌ لِكُفَّارِ مَكَّةَ.

قوله تعالى: ﴿فَسَاكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ﴾ بكاء السماء والأرض، استعارة لطيفة عن الحزن والألم، أي لم يحزن على موتهم أحد، ولا تأثر على هلاكهم مخلوق، لأنهم فجرة أشقياء.. وقيل: بكاء السماء حقيقة لحديث: «ما من مؤمن إلا وله بابان: باب يصعد فيه عمله، وباب ينزل منه رزقه، فإذا مات بكيا عليه، ثم تلا ﴿فَسَاكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ﴾ رواه الترمذي.

﴿يوم الفصل﴾ يوم القيامة يفصل الله فيه بين الخلق ﴿مِثْقَنَ اثْمِين﴾ موعد جزائهم وحسابهم ﴿لا تقي تول﴾ لا يعني صديق عن صديقه، ولا قريب عن قريب ﴿الاس رجم﴾ الله من المؤمنين، فتنفع فيه شفاعة الملائكة والنبيين ﴿سحرت الرقوم﴾ الشجرة الخبيثة التي تثبت في أصل جهنم ﴿طعام الأثم﴾ طعام كل فاجر، كثير الآثام والفجور ﴿كأنهد﴾ كالنحاس المذاب يقلي في بطونهم ﴿أغيدو﴾ خذوا هذا الفاجر اللئيم، فسوقه وجرؤه إلى وسط جهنم ﴿ثم سؤا﴾ صبوا فوق رأسه عذاب ذلك الحميم الذي تناهى حره ﴿ات التميرز الكرم﴾ ذق هذا العذاب فأنت عندنا المعزز المكرم! وهذا من باب السخرية والتهكم، فأي عزة وكرامة لهذا الشقي؟ نزلت في (أبي جهل) وهي نعم كل طاغية

وفاجر ﴿تمرد﴾ تشكون ﴿شديس﴾ رقيق الحرير ﴿استرف﴾ غليظ الحرير وهو الديباج ﴿فارتفت﴾ انتظر ما يحل بهم إنهم منتظرون هلاكك، وسيعلمون لمن تكون النصره والظفر في الدنيا والآخرة؟! سبب النزول: لما نزلت ﴿ات سحرت الرقوم﴾ ﴿فطعام الأثم﴾ قال أبو جهل لأصحابه: إن محمداً يعدنا بطعام في جهنم، هو (الزقوم) هل تدرون ما الزقوم؟ إنه الرطب والزبد، هلما فترقموا، فهذا هو الزقوم الذي يعدكم به محمداً؟! فأنزل الله ﴿ات سحرت الرقوم﴾ ولما توعدده رسول الله بالعذاب، قال الشقي: علام تهذني؟ فأنزل العزيز الكريم، فأنزل الله رداً عليه ﴿ذق إنك أنت التميرز الكرم﴾.

